الفصل الثالث

الاستعمار البرتغالى فى أفريقيا

المحتويات :

١. البرتغال تسبق غيرها من الدول الأوربية فى استعمار أفريقيا.

٢. رحلات البرتغال الكشفية وتكوين الحصون الساحلية فى أفريقيا.

٣. وصول البرتغال إلى شرق أفريقيا والنتائج التى ترتبت على ذلك.

٤. موقف الأفارقة من المستعمرين البرتغال.

٥. نظام البرتغال فى حكم مستعمراتهم الأفريقية

٦. الخدمات ووضع الأفارقة فى المستعمرات البرتغالية.

٧. نهاية الاستعمار البرتغالى فى أفريقيا.

obeikandl.com

obeikandl.com

افتتح البرتغال صفحة الاستعمار فى أفريقيا باحتلالهم قلعة سبتة المغربية فى عام ١٤١٥ وكان البرتغال فى ذلك الوقت تحت حكم الملك يوحنا الأول ـ والسؤال الذى يفرض نفسه علينا:

لماذا سبق البرتغال غيرهم من الأوروبيين فى استعمار أفريقيا؟

يرجع ذلك لعاملين:

أولاً: عامل تاريخى:

فقد كانت شبه جزيرة إيبيريا محتلة من العرب وظلت كذلك لعدة قرون، ولما بدأت شعوب شبه الجزيرة تنشط فى مقاومة العرب بعد أن تفككت الدولة الأموية فى الأندلس وانقسمت إلى دويلات ـ استطاعت البرتغال أن تستكمل استقلالها فى القرن الثالث عشر وقامت بها ملكية فتية بينما ظلت أسبانيا حتى القرن الخامس عشر تطارد العرب إلى أن سقطت غرناطة آخر معاقل العرب فى عام ١٤٩٢، وهكذا أُتيحت الفرصة للبرتغال للاتجاه خارج بلادهم قبل غيرهم.

كما أن الملكية الفتية فى البرتغال وجدت أن استمرار تعقبها للعرب الذين نزحوا من شبه جزيرة أيبيريا إلى ثغور شمال أفريقيا يدعم مركز هذه الملكية، كذلك فإن الحروب ضد المسلمين أعطت البرتغال دفعة دينية حتى فى الوقت الذى كانت فيه الحماسة الدينية التى صاحبت الحملات الصليبية قد فترت، والدليل على ذلك أن الملك يوحنا ملك البرتغال صرح بأن الميدان الحقيقى الذى يكتسب فيه أصحاب البيت المالك الفخار هو ميدان الجهاد ضد المسلمين فى المغرب وأنه سيمنح أكبر وسام فى بلاده لمن يجاهد فى هذا الميدان ـ وكان هذا الشرف من نصيب هنرى الذى عرف باسم (هنرى الملاح) الابن الثالث للملك.

ثانياً: عامل جغرافى:

ويتمثل فى موقع بلاد البرتغال وقربها من السواحل الأفريقية وكانت المسافات فى ذلك الوقت لها أهميتها.

وقد روادت هنرى فكرة متابعة الحملات البحرية للقارة الأفريقية بهدف الوصول إلى غانا التى اشتهرت بعلاقاتها التجارية مع المسلمين، وكذلك الوصول إلى إثيوبيا المملكة المسيحية الأفريقية التى لم تكن لدى الأوروبيين معلومات كثيرة عن موقعها ـ لكن شاع فى أوروبا الحديث عن ملكها المسيحى الذى عُرف باسم يوحنا وذلك بهدف التعاون بين البرتغال وهذا الملك المسيحى لتطويق المسلمين للوصول إلى منتجات الشرق التى تدر على البلاد الإسلامية ـ ودولة المماليك بالذات التى كانت تمثل القوة الإسلامية العظمى فى ذلك الوقت ـ أرباحاً طائلة.

وقد اهتم هنرى الملاح بتقوية أسطول البرتغال وإنشاء مدرسة بحرية وجلب لبلاده عدداً كبيراً من الفلكيين ورسامى الخرائط والبحارة من إيطاليا وصقلية.

رحلات البرتغال الكشفية:

توالت رحلات البرتغال إلى ساحل أفريقيا الغربى بعد فتح سبته فى عام ١٤١٥ فاحتلوا جزر كناريا وجزر ماديرا، والرأس الأبيض ووصلوا إلى مصب السنغال والرأس الأخضر.

واهتم البرتغال بإنشاء الحصون والقواعد على الساحل الغربى للقارة لخدمة أغراضهم التجارية والاستعمارية ومن أهم الحصون التى شيدوها.

١ ـ حصن أرجييم (Argium) مقابل الرأس الأبيض.

٢ ـ حصن سنتياجو (Santiago) قرب الرأس الأخضر.

٣ ـ حصن ساوتومى (Sao Tome) فى الجزيرة التى عُرفت بهذا الاسم فى خليج غينيا.

وكانت لهذا الحصن الأخير أهمية خاصة لموقعه الممتاز فى منطقة يُعتبر ظهيرها القارى من المناطق الغنية فى القارة الأفريقية وكذلك هو فى الطريق المؤدى للبرازيل وفى الطريق من أوربا إلى جنوب أفريقيا، فأصبحت ساوتومى مركزاً هاماً لتجمع الرقيق قبل شحنه للبرازيل ولغيرها من مناطق العالم الجديد المحتاجة للأيدى العاملة لإستثمارها وتعميرها.

وتكونت شركات برتغالية للتجارة مع ساحل غانا بالذات فى الرقيق والذهب وتوسع البرتغال فى تجارة الرقيق وبرروا ذلك بأن الرقيق فى البلاد التى نقلوا إليها يعيشون حياة أفضل من حياتهم بين القبائل الأفريقية المتوحشة.

وفى عام ١٤٨٤ وصل الرحالة البرتغالى ديجوكم (Diego Cam) إلى الكنغو وحاول البرتغال التوغل للداخل وفرض سيطرتهم عليها ونشر ثقافتهم ولغتهم فيها ـ لكن باءت هذه المحاولات بالفشل فلم يستطيعوا السيطرة على الكنغو سياسياً كما لم يكن لهم أثر ثقافى، واضطر رجال الدين الذين وفدوا للتبشير فى هذه الجهات، كما أضطر التجار البرتغال لأن يعودوا أدراجهم، وتعتبر هذه من أولى المحاولات الجادة للإستعمار الاستيطانى الأوربى فى القارة الأفريقية،وظلت الكونغو كذلك حتى كشفت رحلات ستانلى النقاب عن ثرواتها الطبيعية فاتجهت إليها أنظار المستعمرين الأوروبين.

رتركزت جهود البرتغال بعد ذلك فى المنطقة الواقعة جنوب الكنغو عند ميناء لواندا (Luanda) وكانت هذه هى نواة مستعمرة أنجولا البرتغالية التى اشتهرت فيما بعد كمركز من أهم مراكز تصدير الرقيق الأفريقى للبرازيل بالذات واشتهرت فى تاريخ البرتغال الإستعمارى بإسم الأم السوداء إشارة لشهرتها فى إمداد البرتغال بحاجتها من الرقيق.

وفى عام ١٤٨٦ رحل الرحالة بارثليموديا (Bartholemeu Diaz) إلى الطرف الجنوبى من القارة وعبره لمسافة قصيرة فى جو عاصف فأطلق عليه إسم (رأس العواصف).

البرتغال فى سواحل أفريقيا الشرقية:

كانت الفكرة التى تراود البرتغال منذ بدأت رحلاتهم البحرية هى أن يحيطوا بالقارة ويصلوا للهند.

وفى سنة ١٤٨٧ وصل لمصر الرحالة البرتغالى بيدرودى كوفيلهام (Pedro

De Coviliham) وكان يعمل لحساب الملك البرتغالى، ثم سافر هذا الرحالة عن طريق البحر الأحمر لعدن والهند وفى أثناء عودته زار بعض الإمارات العربية فى الساحل الشرقى لأفريقيا وقد فتحت رحلته العيون إلى أهمية هذه **الإمارات العربية** بشرق القارة، وكانت معلوماته أساساً للرحلة التى قام بها فيما بعد فاسكودا جاما (Vasco De Jama) حول رأس الرجاء الصالح.

فقد قام فاسكو داجاما فى ١٤٩٧ برحلته فى أربع سفن ووصل إلى نهاية القارة وعبر رأس العواصف التى غير إسمها إلى رأس الرجاء الصالح إلى الساحل الشرقى حيث زار الإمارات العربية فى المنطقة ووصف هذه المناطق وما بها من حضارة زاهرة، وبإرشاد الرحالة العرب وصل إلى (كلكوت) على ساحل الهند الغربى، وعاد إلى لشبونة.

وتتابعت بعد ذلك رحلات البرتغال فى هذا الطريق واصطدموا **بالإمارات العربية** فخضعت لهم سفالة، وكلوه، وممبسه وغيرها من المراكز التى كان يستقر بها العرب، واستولى البرتغال على **موزمبيق** عام ١٥٠٧ واستقر عدد منهم بها وحصنوها وتوسعوا فى المناطق المحيطة بها فأصبحت مركزاً هاماً لهم بشرق القارة وعينوا حاكماً لهم بها كما أصبحت انجولا مركزهم بغرب القارة[١].

وقد ترتبت على كشف طريق رأس الرجاء الصالح عدة نتائج منها:

أولاً. نتائج سياسية:

حقق البرتغال هدفهم فى السيادة على الطريق البحرى المؤدى للشرق وشعر المماليك الذين كانوا يحكمون مصر والشام والحجاز ويتحكمون فى هذا الطريق التجارى الهام للشرق بالخطر البرتغالى على مصالحهم فأعدوا أسطولهم لمواجهة هذا الخطر وانضم إليهم البنادقة الذين كانوا أيضاً يحققون أرباحاً طائلة من نقل

(١) سبق أن تحدثنا عن الاستقرار العربى بشرق أفريقيا وعن الإمارات العربية فى هذه المناطق فى (سفاله، وموزمبيق، وممبسه، ومالندى، ومقديشيو) وكذلك فى زنجبار.

بضائع الشرق لأوربا ـ ووقعت بين الطرفين موقعة بحرية هى موقعة ديو (Diu) فى عام ١٥٠٩

وكانت هذه الموقعة فاصلة فى إنتقال السيادة البحرية فى المحيط الهندى والطرق المؤدية إلى للبرتغال، واتصل البرتغال بملك إثيوبيا المسيحى واتفقوا معه على العمل سوياً لتطويق البلاد العربية وإنتزاع التجارة التى كانت ثروة هذه البلاد وهكذا حقق البرتغال هدفهم واهتزت بذلك الهيمنة السياسية للمماليك وضعفت دولتهم ومهد ذلك لسقوطهم فى أيدى العثمانيين.

ثانياً.نتائج إقتصادية:

فقدت مصر المملوكية وبلاد الشرق العربى مورداً هاماً من مواردها الإقتصادية بتحول التجارة إلى رأس الرجاء الصالح فقد فرضت البرتغال حصاراً بحرياً على البحار العربية الداخلية، وهكذا حقق البرتغال حلمهم بوضع أيديهم على طرق التجارة بين الشرق والغرب، وتأثرت مصر بالذات بهذا الحصار، وأدى هذا إلى ضعف دولة المماليك فسقط الشام فى يد العثمانيين فى عام ١٥١٦ وتلتها مصر فى عام١٥١٧.

وقد حل العثمانيون فى الصراع ضد البرتغال محل المماليك، واستمر النضال بين القوتين لمدة طويلة وإتخذ صوراً متعددة منها أن الدولة العثمانية كانت تعاون الممالك الإسلامية المحيطة بهضبة إثيوبيا والتى سُميت (**بممالك الطراز**) بينما كانت البرتغال تؤيد مملكة الحبشة وتعينها على مهاجمة الممالك الإسلامية المحيطة بها وأخذ البرتغال يروجون لبضائع الشرق التى يجلبونها عن الطريق الجديد بالإضافة إلى البضائع الأفريقية وفى مقدمتها الرقيق فى أسواق أوربا، كما أنهم كانوا يتطلعون للذهب الذى كان يستخرج من مناجم منطقة الزمبيزى ويصدر من موانى شرق القارة وكان العرب يقومون بهذا النشاط فعمدوا لوضع أيديهم على موانى الساحل الشرقى للقارة.

ثالثاً. الناحية الدينية:

كان الدافع الدينى فى مقدمة الدوافع التى دفعت البرتغال للقيام بنشاطهم الكشفى فى أفريقيا وقد امتد الصراع بين البرتغال والمسلمين فترة طويلة بعد طرد العرب من شبه جزيرة أيبيريا واقتفت **البعثات التبشيرية** خُطى الرحالة والتجار وجيوش الإستعمار، وتنافست فرق الرهبان على العمل فى القارة، وإن كان يذكر لهذه البعثات الدينية جهودها فى مجال التعليم والعلاج لكن إنحراف بعض رجال الدين عن أهدافهم وإتجاهاتهم للسعى لتملك الاقطاعات الكبيرة والإشتراك فى تجارة الرقيق وغير ذلك مما يتنافى ورسالتهم الدينية ـ أدى إلى ضعف تأثير هذه البعثات التبشيرية.

رابعاً. من الناحية الثقافية:

أدى تحول التجارة من مصر والشرق العربى إلى عزل هذا الجزء عن العالم العربى وحضارته مما أدى إلى الركود الذى شمل العالم الإسلامى.

أما فيما يتعلق بدور البرتغال الثقافى فى المناطق التى إستعمروها فى أنجولا وموزمبيق وغينيا بيساو فقد كان ضئيلاً وقد ترك أمر التعليم والعلاج لجهود الإرساليات التبشيرية وهى جهود وإمكانيات كانت محدودة بالطبع وقد كان إتجاه الحكام البرتغال فى مستعمراتهم الأفريقية ـ كما عبر عن ذلك حاكم عام موزمبيق فى عام ١٩٠٦«إن تعليم الأفريقى يجب أن ينحصر فى إعداده ليكون عاملا ينفذ الأوامر فحسب لكن يجب ألا نشجعه حتى يصل به الغرور الدرجة أن يحاول تمثيل دور الضفدعة التى ظنت أنه يمكنها أن تنتفخ فتصبح كالثور فانتهى الأمر بأنها انفجرت وبالطبع لم تلحق بالثور ضرر لكن فى حالة الأفريقى لابد أن يلحق الضرر بالآخرين»[١].

موقف الوطنيين فى شرق القارة من الإستعمار البرتغالى:

واجه البرتغاليون فى شرق القارة وفى غربها ثورات متعددة ومقاومة من

(١) Duffy:Op Cit. P.254.

obeikandl.com

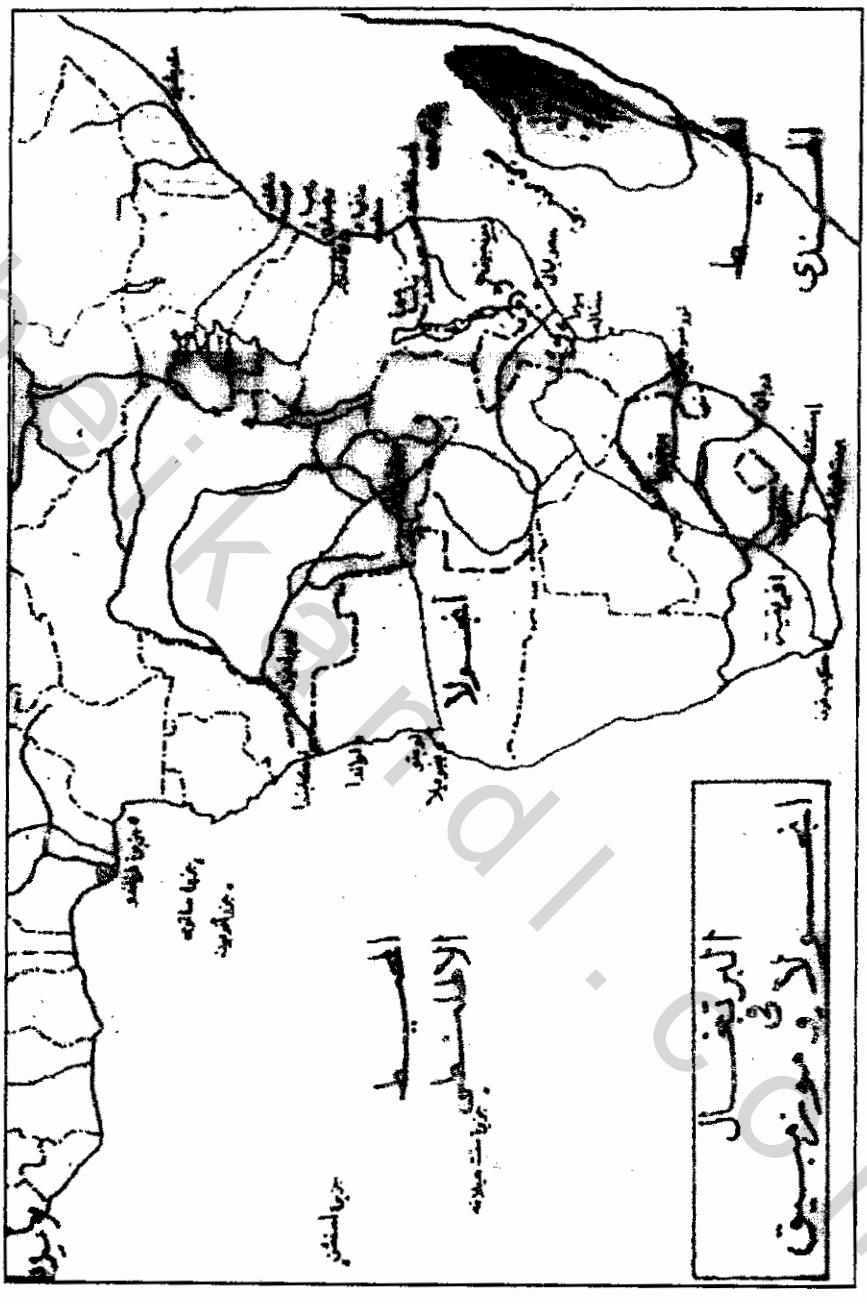

شكل (٩) البرتغال فى أفريقيا، أنجولا، وموزمبيق

obeikandl.com

الأفريقيين والعرب المستقرين بهذه المناطق ومن أبرز هذه الثورات فى شرق القارة ـ الثورة التى تزعمها (ميرعلى) فى مقديشيو وإمتدت للمناطق المجاورة، وإستعان البرتغال بقواتهم البحرية لإخمادها.

وقد تعددت ثورات العرب فى شرق أفريقيا ضد المستعمرين البرتغال ولقوا تأييداً من العثمانيين وأضطر البرتغال فى النهاية لتركيز سلطتهم فى مناطق محدودة فاتخذوا من موزمبيق مقراً لهم واهتموا بتحصينها لتصبح مركزاً لسيادتهم بشرق القارة.

على أن البرتغال وإن كانت قد سبقت غيرها من الدول الأوربية فى ميدان الكشف. . . . إلخ.

الكشف والإستعمار فى أفريقيا فإنها لم تجن ثمار ذلك النصر المبكر فقد اقتصر نصيبها فى القارة أخيراً على موزمبيق، وإنجولا، وغينيا البرتغالية (غينيابيسار) **ولعل ذلك يرجع لأسباب منها:**

١ـ قلة عدد سكان البرتغال أنفسهم.

٢ـ نظرة البرتغال لأفريقيا على أنها وسيلة فقط للوصول للشرق وليست غاية فى ذاتها.

٣ـ كانت مناطق أخرى كالبرازيل أكثر جاذبية من أفريقيا.

٤ـ عداء الأفريقيين للمستعمرين البرتغال ومالقيه الأفارقة فى شرق أفريقيا على وجه الخصوص من تعضيد عرب شبه الجزيرة العربية لهم.

٥ـ تضارب مصالح البرتغال أنفسهم من تجار وأصحاب إقطاعات ومبشرين.

٦ـ إحتلت أسبانيا البرتغال ذاتها فى عام ١٥٨٠ ودام هذا الإحتلال ما يقرب من ٨٠عاماً.

٧ـ حاولت البرتغال بعد مؤتمر برلين تحقيق حلمها فى ضم الأقاليم التى تفصل بين مستعمرتيها فى أنجولا وموزمبيق ـ لكن إصطدمت مصالحها مع مصالح إنجلترا التى كانت تبسط نفوذها فى جنوب القارة فاضطرت البرتغال للخضوع لمطالب الإنجليز.

obeikandl.com

نظام البرتغال فى حكم مستعمراتهم:

كان الهدف الأساسى الذى وضعه البرتغال أمام أنظارهم هو **إستغلال مستعمراتهم** إلى أقصى حد ومقاومة أية حركة تمرد ولذا إتسم نظامهم بالعنف والقوة واستغلال المواطنين الأفارقة إلى أبعد حد حتى أن كثيرين وصفوا هذا النظام بأنه صورة جديدة من صور الرق.

وكانت هناك (وزارة للمستعمرات) على رأسها وزير المستعمرات يعاونه (مجلس إستشارى)، وكان يعقد فى لشبونة كل ثلاث سنوات مؤتمر عام لحكام المستعمرات لمناقشة الأوضاع فى المستعمرات.

وكانت السلطة الرئيسية فى المستعمرة فى يد **الحاكم** العام، يعاونه هو أيضاً مجلس إستشارى وعدد من الموظفين.

وتكونت فى المستعمرات البرتغالية بمضى الوقت طبقة من **(الإقطاعيين)** الذين لا هم لهم إلا الإثراء السريع، وكان عدد المهاجرين البرتغال للمستعمرات بمحض إرادتهم قليلاً ـ لكن لجأت الحكومة البرتغالية لإرسال المجرمين والخارجين عن القانون، ولذا كانت الغالبية العظمى من البيض فى المستعمرات البرتغالية من الطبقات المنحطة وإنحصرت جهود الجميع من إداريين وغيرهم فى تجارة الرقيق والتى إشتهرت بها بالذات أنجولا بينما إشتهرت موزمبيق لوقت طويل بتجارة الذهب التى كان يمارسها العرب المستقرين بشرق القاره من قبل.

ولما كانت جهود البرتغال قاصرة عن الإستغلال الكامل للمستعمرات وبسبب قلة عدد البرتغال والحاجة الملحة لرؤوس أموال ضخمة لإستغلال المستعمرات ـ فقد منحت البرتغال فى مستعمراتها إمتيازات كثيرة (لشركات تجارية أجنبية) تابعة لدول أخرى.

وقد واجهت الإستعماريين البرتغال فى مستعمراتهم مشكلة موقف الأفريقيين من العمل فقد كان المستعمرون بحاجة للأيدى العاملة الأفريقية الرخيصة وكان السؤال الذى يُسأل دائماً هو:

obeikandi.com

هل الواجب يقضى بإلزام الأفريقيين على العمل أم ترك الحرية لهم فى هذا؟ وقد التزم البرتغاليون حتى فى تشريعاتهم بمبدأ (**العمل الإلزامى**) فكانوا يشحنون الأفريقيين للعمل فى مزارع الكاكاو فى جزيرة ساوتومى وغيرها بعد إجبارهم على توقيع عقود عمل صورية.

وقد أطلقت البرتغال على مستعمراتها منذ تولى أنطونيو سالازار (Antonio D. Salazar) وزارة المستعمرات فى البرتغال فى عام ١٩٣٠ (أقاليم ما وراء البحار) وتغير إسم وزارة المستعمرات إلى وزارة الأقاليم الواقعة فيما وراء البحار بإعتبار أن جميع هذه الأراضى الأفريقية الخاضعة للبرتغال هى جزء لا يتجزأ من أراضى البرتغال ذاتها، وصدر قانون يشجع سياسة الإندماج (Assimilation) فقد منح الأفريقى الذى يتعلم اللغة البرتغالية ويعتنق الكاثوليكية حق المواطن البرتغالى.

الخدمات ووضع الأفارقة فى المستعمرات البرتغالية:

نظر البرتغال للأفريقى على أنه كائن حى أقل من الأوربى وأن عليه أن يعمل أو يُجبر على العمل ليحقق الرفاهية للأوربى فالمستعمرات كان ينظر إليها على أنها أقاليم منتجة لصالح الرجل الأبيض، وكانت القوانين التى صدرت كلها تسير فى هذا الإتجاه ولم يقبل البرتغاليون فى أى يوم من تاريخهم الطويل فى أفريقيا وهو يقرب من خمسة قرون ـ أن ينظروا إلى الأفريقى نظرة الند للند أو أن يعاملوه على قدم المساواة مع الأوروبى الدخيل.

ولو استعرضنا أوجه الخدمات المختلفة نلمس ذلك بوضوح:

١ـ **ففيما يتعلق بالأرض الزراعية:** حُجزت مساحة من الأرض للأفريقيين وإستولى البرتغال على الباقى وكان نصيب المستعمرين فى الأرض الخصبة.

٢ـ **والخدمات التعليمية:** ترك العبء الأكبر فيها للإرساليات التبشيرية وبالطبع كانت جهود هذه **الإرساليات** محدودة، وكان هناك نظام تعليمى للأفارقة

obeikandl.com

وآخر للأوربيين، ولم يتجاوز الطلبة الأفارقة مرحلة التعليم الأولى بسبب شروط السن وغيرها، أما المدارس العليا فكانت مخصصة للمستوطنين، وفرض على الأطفال الأفارقة فى المدارس أن يتعلموا اللغة البرتغالية وتاريخ البرتغال وأمجادهم.

وكانت نسبة الأمية بين الأفارقة فى المستعمرات البرتغالية رهيبة ـ لكن إذا وضعنا فى الإعتبار أن نسبة الأمية فى البرتغال ذاتها كانت لوقت قريب كبيرة أدركنا أن الأمر لم يكن غريباً.

٣ـ **الخدمات الطبية**: ترك العبء الأكبر فيها أيضاً على عاتق الإرساليات، وبالطبع كانت حاجة الأفريقيين ماسة لهذه الخدمات ـ لكن فرصتهم فى الحصول عليها لم تكن أحسن من الفرص المتاحة لهم للتعليم فى المدارس بعد المرحلة الأولية.

وحتى فى هذا المجال الإنسانى ـ مجال الخدمات الطبية تمثلت التفرقة العنصرية بمظهرها البشع فقد كانت تخصص للأوربيين مستشفيات أو أماكن خاصة بهم فى المستشفيات، وكذلك غرف للعمليات كان يحظر دخولها على الأفريقيين، وكانت أغلب المستشفيات فى المدن التى يتركز فيها الأوربيون بعكس القرى والمناطق التى خصصت للأفارقة فقد كانت تفتقر لأماكن العلاج.

٤ـ **الوضع الإقتصادى**: وجهت مشروعات التنمية الإقتصادية فى المستعمرات إلى إنتاج المحاصيل التجارية والصناعية ذات القيمة فى التجارة الخارجية ولم تراع فى ذلك مصلحة الأفارقة.

ولعل التقرير السرى الذى وضعه بتكليف من الحكومة البرتغالية **هنرى جلفاو**(Henrique Galvao) والذى رفعه فى عام ١٩٤٧ إلى الجمعية الوطنية يعطى صورة عن حقيقة الوضع فى المستعمرات البرتغالية، لكن الصراحة المؤلمة التى كتب بها التقرير ترتب عليها أن وجهت له الإتهامات فسجن وبقى فى السجن حتى عام ١٩٥٩ حين إستطاع الهرب.

ففى تقريره أشـار إلى أن الحالة فى أنجولا، وموزمبيق وسـوء الخدمات التى تقوم بهـا الدولة أو المؤسسات المـكلفة بذلك لا يـمكن وصفها إلا بـالقول بأن الوضع يشبه كأن المستعمرتين تعانيان من الأثار المدمرة لحريق مروع إنتشر بسبب عدم توافر الماء أو المضخات اللازمة للإطفاء أو رجال الإطفاء أنفسهم.

وتحدث التقرير عن الظـروف السيئة التى يعمل فيها العـمال الوطنيون وعدم توافر المساكن الصحية اللائقة بآدمـيتهم، وعدم دفع الأجور المناسبة لهم، وذكر فى نهاية تقريره أنه يشعر بعجزه عن ذكر الحقيقة كاملة لكنه يجمل الوضع بأنه أشبه بعملية إبادة بالجملة للسكان الأفريقيين[١].

نهاية الإستعمار البرتغالى فى أفريقيا:

كانت البرتغال كمـا ذكرنا فى مقدمة الدول التى إفتتحت صـفحة الإستعمار الأوربى فى أفريقيا والعـجيب أنها كانت رغم ضعف إمكانياتـها وسوء حالتها الإقتصادية، وما كـانت تعانى منه من مشكلات داخلـية ـ آخر الدول الأوربية التى سلمت بـحق المستعمرات فى الإستقلال فـقد ظلت متمسكة بمسـتعمراتها حتى بعد تصفية الوجود الإستعـمارى الألمانى والإيطالى والأسبانى والإنجليزى والفرنسى فى أفريقيا.

وكانت البرتغال تخشى أمرين:

١ـ تسرب أخبار الحركات الـتحررية الأفريقية التى إجتاحـت القارة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ـ لمستعمراتها.

٢ـ الرأى العام العالمى ممثلاً فى الأفراد والجماعات والمنظمات الدولية التى تساند حق الشعوب فى الحر ية والإستقلال.

لكن رغم الجهـود التى بذلتها البـرتغال لمواجهة هذين الأمـرين فقد أخذت الإضطرابات تجتاح المستعمرات البرتغالية منذ عام١٩٤٨.

وكانت **أنجولا** أسبق من موزمبيق فى الثورة على الإستعمار وأكثر منها عنفاً وشدة، ولعل هذا يرجع إلى الأسباب التالية:

---

(١) Galvao, H.: Santa Maria and my Crusade for portugal (1962).

١ـ ما عـانته أنجولا فـى ظل الإستعـمار البـرتغالى ومـن جراء تجارة الرقـيق بالذات.

٢ـ إنفصال البـرازيل عن التاج البرتغـالى فى النصف الأول من القـرن التاسع عشر وإنتقال صداه للجانب الشرقى من المحيط الأطلنطى.

٣ـ كثيـر من القبـائل فى شمـال أنجولا تربطهـا صلات القربـى بالقبـائل فى الكنغو، ولذا إنتقـلت بيسر أخبار حركات المقاومة الوطنـية فى الكنغو إلى أنجولا.

٤ ـ هناك خط حديـدى ينقل النحاس من كـاتنتاجا إلى ميناء لـواندا فى أنجولا وينقل بالطبع معه أخبار التيارات التحررية.

٥ـ قيام الثورة فى الكنغو وإضطرار السلطات الإسـتعمارية البلجيكية للإعتراف بإستقلال الكنغو.

٦ـ ظهور أحزاب قوية وزعامات ناضجة فى أنجولا.

٧ـ ظهور عناصر أفريقية مثقفة بها.

وقد سانـدت الدول الأفريقـية والآسيويـة فى الأمم المتحـدة حق الوطنـيين الأفارقة فى المـستعمرات البـرتغالية فى الإسـتقلال، ومنذ ١٩٦١ وقضـية هذه المستعمرات معروضة على مجلس الأمن وتقرر تشكيل لجنة لبحث ظروف هذه المستعمـرات ووضع تقرير عنها (لجنة إسـتقصاء الحقائق) وقد رفضـت البرتغال التعاون مع اللجان التابعة للأمم المتحدة فى هذا الشأن.

أما عـن **منظمة الوحـدة الأفريقية** فقد ناقشت منذ قـيامها فى مايو ١٩٦٣ قضية هذه المستعمرات البرتغالية وإتخذت قرارات بمساندة الوطنيين فى كفاحهم ضد الإستعمار.

لكن البرتغال نفسها كانت تئن تحت حكم عسكرى جائر وأخيراً سقط الحكم العسكرى (حكـم سالازار) فى البرتغال تحت ضغط الـظروف الإقتصادية، ولا شك فى أن ظـروف البرتغال فى مـستعمراتهـا والإستنزاف المسـتمر لميزانيـتها

لتمويل حملات القمع والإرهاب فى المستعمرات ساهمت فى سقوط الحكم العسكرى فى البرتغالى، وأعقب ذلك تحرير المستعمرات فأعلن إستقلال وغينيا بيساو ١٠ سبتمبر ١٩٧٤[١] وموزمبيق ٢٥ يونيو ١٩٧٥، وأنجولا فى ١١ نوفمبر عام ١٩٧٥.

وقد عبر أحد الكتاب عن ذلك بقوله:

«لقد نجحت المستعمرات البرتغالية فى تخليص البرتغال من الحكم العسكرى ولما تم ذلك إستطاعت المستعمرات البرتغالية أن تتخلص من الإستعمار البرتغالى».

ونلاحظ على الإستعمار البرتغالى ما يلى:

١ـ كان الدافع الدينى من أكبر الدوافع التى دفعت البرتغاليين للقيام بجهود فى الكشوف الجغرافية والإستعمار.

٢ـ حقق البرتغاليون نجاحاً منقطع النظير بإكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح ووصولهم للهند عن هذا الطريق.

٣ ـ إقتصر الإستعمار البرتغالى فى المبدأ على مناطق ساحلية أو مراكز فى غرب القارة أو شرقها ولم يتوغلوا كثيراً فى الداخل.

٤ ـ اهتموا ببناء القلاع الحصينة لحماية النقط التى إتخذوها على السواحل.

٥ـ كان الإستعمار البرتغالى ضربة عنيفة هزت نفوذ المسلمين التجارى فى المحيط الهندى والبحار الشرقية، كما أثرت على الإمارات العربية فى شرق أفريقيا.

٦ـ احتكرت البرتغال تجارة الشرق والتجارة فى السلع الأفريقية وفى مقدمتها الرقيق والذهب والفضة وأصبحت (لشبونة) مركزاً رئيسياً للسلع الأفريقية ومنتجات الشرق.

---

(١) تزعم حركة النضال ضد الاستعمار البرتغالى فى وغينيا بيساو، وجزر الرأس الأخضر (أميلكار كابرال) الذى أغتيل فى يناير ١٩٧٣.

٧ـ انفتح المجال أمام الجمعيات التبشيرية لمزاولة نشاطها فى القارة الأفريقية، لكن تطور الأمر لتنافس غير شريف بينها، بالإضافة إلى إنغماسها فى تجارة الرقيق.

٨ـ واجه البرتغاليون ثورات متعددة من الأفريقيين والعرب.

٩ـ بعد الحرب العالمية الثانية واجهت البرتغال ثورات فى مستعمراتها وكانت أنجولا أسبق من موزمبيق فى الثورة.

١٠ـ ظلت حكومة سالا زار العسكرية فى البرتغال متمسكة بمستعمراتها فى موزمبيق وأنجولا وغينيا بيساو إلى أن سقطت هذه الحكومة فى عام ١٩٧٤ فكان ذلك إيذاناً بإستقلال المستعمرات البرتغالية.

obeikandl.com

المراجـــع

نذكر بعض المراجع الهامة لمن يريد الإستزادة من المعلومات (عن الاستعمار البرتغالى).

أولاً. المراجع العربية:

١ ـ جيمس، دفى: الإستعمار البرتغالى فى أفريقيا (مترجم ١٩٦٣).

٢ ـ راشد البراوى: الرق الحديث فى أفريقيا البرتغالية (١٩٦٢).

٣ ـ عبدالملك عوده: السياسة والحكم فى أفريقيا (١٩٥٩).

٤ ـ محمد صفى الدين: أفريقيا بين الدولة الأوربية (القاهرة ١٩٥٩).

٥ ـ شوقى الجمل، عبدالله عبدالرازق: بطولات أفريقية (القاهرة ٢٠٠١).

ثانياً. المراجع الأجنبية:

1 - Duffy, James: Portugal in Africa (1952)

2 - Duffy, James: Portuguese Africa (1951).

3 - Harris, John: Portuguese Slavery (London 1918).

4 - Johnston, H: A History of Colonization of Africa by Alien Races (Cambridge 1913)

5 - Moreeirs, Edqardo: Portuguese East Africa (London 1930).

6 - Nerinson, H: Modern Slavery (London 1936).

7 - Swan, Charles: Slavery of Today (London 1909)

8 - Tueker, John: Angola, Land of the Blacksmith Princes (London 1933)

obeikandl.com